تنبيه: توجد بعض صفحات ما حملتها ، أو بعض الكلمات في بعض الصفحات من الملفات غير واضحة حيث تعوق القراءة نتيجةً لقدم الكتاب نفسه وليس بسبب التصوير، فقد قمنا بتصحيح الخلل والمعوقات بقدر ما استطعنا

أشوكا — الامبراطور الهندى العظيم

للأستاذ محمد عامر الأنصارى

عندما نخوض غمار الماضى، وندع الفكر يجول فى حومات التاريخ. نجد هناك شخصية عظيمة تطل من خلال ستائر الأساطير، تستوقفنا وتجتذبنا بفدادة بطلها وكمال صاحبها. وهى محاطة بأساطير خيالية. إلا أنها تصور لنا نبذاً من حياة هذا الرجل الفذ. الملك الكبير. أشوكا. محب السلم والسلام. أوتى ملكا واسعا وسلطانا قاهرا ثم تنازل عن هذا كله. وآثر التواضع على الآمرية. والخضوع على الكبرياء. وصار يبغض ما يتقاتل الناس فى سبيله من حب المال. والجاه. والملك فاختار الاحسان. والأسعاف العام، والسلام التام، وهجر كل راحة ولذة. فاشتهر بأعماله الحسنة إشتهارا يرن صداه إلى الآن. فهو الملك الوحيد الذى نبذ الحرب واتخذ السلام مبدأ لسياسته وأساسا لحكمه.

ولكن الأسف كل الأسف، لم يترك لنا الدهر تاريخا واضحا عنه. وباد كثير من الآثار التى خلفها الملك العظيم، إلا أنه لا يزال باقيا منها ما يدل على نزعته النفسية الفريدة التى لا نجد لها نظيرا فى سيرة ملوك العالم أجمعين قديما وحديثا.

وإذا جمعنا الآثار الباقية والروايات التى اشتهرت عنه، سهل علينا أن نصل إلى نتيجة صادقة وتمكنا من وصف حياته. فنبدأ الكلام بأسطورة تخبرنا عن نهايته من طغيانه الأول، فقد روى أن أشوكا كان أشجع المحاربين وأفتكهم وأشد المولعين بالصيد وأقساهم، لا يعرف للعطف والمرحمة معنى، ورث من أبيه وجده إمبراطورية واسعة نخمة، تمتد من أقصى البلاد الى أقصاها، مملوءة بأجوز

الطغيان. وكانت الشعوب التابعة تعانى الشدائد حتى لم يوجد داخل البلاد من لا يشكو واليه، وكانت الشمس تطلع بجور حديث وتغرب بظلم جديد، حتى حدث ذات يوم أن صادف حرس الامبراطور قديسا بوذيا، دفعه القدر إليهم، فألقوا عليه القبض لا لذنب إقترفه بل لأنهم وجدوه صفر اليدين، فألقوه فى تنور تتأجج النيران فيه، ولكنهم بهتوا عند ما رأو التنور انقلب إلى زهرة لوطس بهجة، والقديس فى وسطه متربع متعبد!

ولما علم الملك ذلك طلب القديس، واستخبره عما وقع من العجب العجاب، واعدا نصف ملكه كجائزة له إن صدق القول. فقال القديس إن القناعة أغنتنى عن كل شيء، ولا أمنية لى إلا أن يهتدى الملك إلى سواء السبيل. فما كان من الملك إلا أن انقاد له وأصبح أخلص مريديه، فاكتسب منه المعارف، وتخلق بالأخلاق الحسنة، وتاق إلى نشر السلام، وعزم أن تشرق بلاده بأنوار المعارف البوذية. فسرعان ما تكللت جهوده بالنجاح وطفحت البلاد بالمعابد والأديرة، وتزينت بالمدارس والكليات.

فى هذه الأسطورة من الغلو ما فيها، إلا أنها دليل إلى الحقيقة. ثم إنا لا يهمنا إذا كان سبب تغير الملك مثل هـذه المعجزة أو غيرها، لأنا نرى أشوكا نفسه يعترف بتغيير فجائى حدث فى قلبه فأصبح يفكر غير ما كان يفكر، ويرسم غير ما كان يرسم، ويرمى غير ما كان يرمى.

كان جد أشوكا، چندرگپتا، أول ملوك أسرة موريا، عاصر الاسكندر ودرس حياته دراسة وافية، وروى أنه حظى بزيارة الفاتح المقدونى. ولما مات الاسكندر، وسع چندرگپتا امبراطوريته، ودافع عنها دفاع الأبطال. وحكم نحو اثنين وعشرين عاما. وخلف دولة عظيمة لابنه بندهو سارا، الذى حكم عليها نحو ربع قرن، ومات هذا حوالى ٢٧٢ ق.م. وله أبناء، منهم أشوكا الذى

نحن بصدد حياته.

إرتقى أشوكا العرش على رغم حداثة سنه، وحكم البلاد ثمانية أعوام كـ
وجده لا يحيد عن سيرتهم، فلا نجد له مزية تذكر، أو فضيلة تسجل. إلا
كان شجاعا، صائب الرأى. وصفاته هذه هى التى حملت أباه على اصطفائه لمـ
دون إخوته. ولا يبعد أن أباه عرف أهليته عندما ولاه حكومة المقاطـ
الغربية الشمالية من امبراطوريته. وكان أشوكا أول الحكام على تلك المقاطعـ
التى كانت عاصمتها «تاكسيلا» الزاهية الشهيرة بمدنيتها وثقافتها الراقية، إذ كـ
فيها أكبر معهد علمى فنى، يؤمه الطلاب من سائر الأقطار. ثم انتقل أشوكـ
المقاطعات الغربية التى عاصمتها «أجين» وشغل فيها كذلك وظيفة النيابة وقـ
بواجبه أحسن قيام، وكانت «أجين» إذ ذاك بلدة ذائعة الصيت لثقافتها وفنو
إلى جانب أنها كانت أقدم مدن الهند، شهدت البلاد رقيها وتطوراتها. ومكـ
أشوكا فيها سنين، وفى تاكسيلا سنين. فمن المحتمل أنه أفاد من معارفـ
وتشرب بأفكار وعقائد لم تزل كامنة فى قلبه حتى حدثت أمور قوتها، وجعلـ
مسيطرة على نفسه، فانساق معها وجعلها رائد حياته العملية.

وكان أشوكا فى أجين عندما تلقى نعى أبيه.

لا يحدثنا التاريخ عن السنين الأولى من حكمه شيئا. غير أننا نقدر أن نتصو
المشاكل والعراقيل التى لا بد أن واجهته فى حفظ السلام، وتنفيذ الأوامر
مثل هذه البلاد الواسعة، لا سيما ما كان من حدوث القلاقل عند موت المـ
وتتويج خلفه.

ومهما يكن من أمر، فاننا نرى البلاد كلها هادئة خاضعة للامبراطور عـ
قام لبسط سلطانه من البحر إلى البحر، وذلك بفتح بلاد «كالنگا» فى الجنو

وضمها إلى امبراطوريته. وكانت «كالنكا» دولة مستقلة على الساحل الشرقى من القطر العظيم. فلم يلبث أن أغار الامبراطور واستولى عليها بعد حرب دامية. ولكن يا للعجب، هذه الحرب التى انتصر فيها خلقت منه رجلا غير الذى كان، فقد شاهد فيها ما تأتى به الحرب من قتل النفوس، وسفك الدماء، وسبى الأبرياء وما إلى ذلك. فاكتئب من كل ذلك، وأصبح يمقت الحرب، ويقرر لنفسه منهجا جديدا للفتح، لم يعرفه التاريخ لغيره. فنبذ فكرة الحرب من أصلها، وعمد إلى تشييد إمبراطوريته على دعائم الصداقة والسلام والفضيلة والاحسان. فأقام مسلات وأعمدة كثيرة فى أنحاء البلاد، نقش عليها وعلى الصخور من الجبال وصاياه السلمية. ولا تزال خمسة وثلاثون من هذه المسلات باقية الى الآن. وكذلك بدل أشوكا إسمه باسم آخر فتسمى «پريادرسن» (Priyadarsin)، معناها «حبيب الآلهة».

وها كم ترجمة ما نقشه على أشهر المسلات وأهمها:

«فتح صاحب المعالى الملك، حبيب الآلهة كالنكا فى العام التاسع من ولايته فقد جلبت هذه الحرب الشقاء على عدد كبير من البشر، فقد أجلى من أبناء البلاد المفتوحة مائة وخمسون ألفا، وذبح فى أثناء المعمعة مائة ألف، ومات أضعاف مضاعفة لهذا العدد بسبب الحرب.

«ويجتهد الامبراطور منذ ضمه كالنكا الى امبراطوريته فى الاحتفاظ بدين سلم. وقد أصبح من محبى هذا الدين زهو ينشر وصاياه.

«لقد تألم حبيب الآلهة جدا من كل ما وقع فى فتح كالنكا. وحزن له حزنا عميقا. الحرب هكذا عاقبتها. وفتح البلاد المستقلة غير الخاضعة يتطلب المذابح والدمار وإجلاء الأهالى من أوطانهم. أمور تولم الملك أشد الألم. وفوق ذلك

لا ينتهى شر الحرب بسفك دماء المحاربين وأعوانهم ، بل يتجاوز إلى غيرهم ، الذين يعيشون فى تلك البلاد من البراهمة والرهبان ، ومن الذين يطيعون سادتهم ويخضعون لآبائهم وأمهاتهم ، ويحترمون كبرائهم ، ويراعون حق الأصدقاء وا... والجيران وذوى القربى والعبيد والخدم ، ويخلصون فى الدين ولا يمتون بسبب إلى الحرب ، فهولاء الأبرياء كذلك تطحنهم الحرب طحنا ، فيذبح أحبائهم ، وتخرب بيوتهم ، ويجلون من ديارهم ، ويفارقون ذويهم وأصدقائهم ، أو يتألمون بما تأتى به الحرب على أقاربهم .

« وإن حبيب الآلهة ليأسف أن يصيب الناس مثقال ذرة مما أصابهم من جراء الحرب فى كالنگا ، وإنه يرى الصبر على الشدائد أولى ، وإذا ظلم أحد أحدا فليصبر ما استطاع الصبر . وحبيب الآلهة كذلك يصبر إذا أوذى ، ويعطف على القبائل البادية الذين احترفوا الأغارة وقطع الطريق ، ويأمرهم بأن يقلعوا عن الأعمال المخربة ، فينجوا من الدمار والهلاك . إذ الملك ذو سلطان يقدر أن يؤدبهم ويقتلهم ، على أنه لا يرضى إلا عن المرحمة والحنان .

« ويريد حبيب الآلهة لكل حى عائش سلاما وعافية ، ويرجوا منهم ضبط النفس ، وكظم الغيض ، وهدوء الفكر ، والسعادة العامة . فقد اقتنع الملك حبيب الآلهة أن النصر الحقيقى ليس بالقوة ، ولكنه بالفضيلة والحق .

« وعلى الناس أن يتبعوا أوامر الملك فى كل مكان ، سواء وصل إليهم رسله أو لم يصلوا . ولا يزال هذا الفتح يسمى بالفتح الودى لأنه لم يحصل إلا بالمودة إلا أن حبيب الآلهة لا يراه فتحا حقيقيا من كل الوجوه ولكنه يرى الانتصار الكامل ما يحصل فى العقبى .

« وقد سجل هذا القرار كى يعرف أبنائى أن الانتصار بالعساكر والأسلحة

ى بشىء يزينهم، فلا يبذلوا جهودهم لمثل هـذا الانتصار، ويشعروا بسكون ل والفرح فى المرحمة والعطف، وليتأكدوا أنهما ينفعانهم فى الآجل والعاجل! »

ولا ريب. أن الامبراطور العظيم الفذ فى تاريخ الانسانية. قد نجح فى نيل هذا نتصار داخل بلاده وخارجها على السواء.

لقد كان إيمان الملك بالبوذية من الأعاجيب. ولكن ما نتج من إيمانه كان بر من كل عجيبة. درس البوذية ورأى فيها دينا يصلح للعالم، وينفعه قدر ما يه نفسه.

وتقول الروايات إن الامبراطور فى نفس السنة التى فتح فيها كالنكا تلمذ ط من العلماء البوذيين. ولازمهم كتلميذ حقير مجتهد، وكرس حياته لاكتساب رفهم، واستخدم لنشرها الوسائل التى تهيأت له كملك عظيم، واثقا بأنها العقيدة حيدة التى تكفل السعادة، لا لشعبه وحده. بل لسائر الشعوب فى العالم. ولم يكن امبراطور كساسة العصر الحاضر الذين اتصفوا بالرياء والزور، فيقولون ما لا لون. بل تشرب بمبادى دينه الجديد تشرباً لا مزيد عليه، وأفرغ حياته فى ها. فقام بكل ما يأمر بها الدين حق القيام، فعاش ثلاثين شهراً، وقد تخلى عن ماكان يملكه، واكتفى من ملكه العريض وخزائنه المتدفقة بثمانية أشياء. لا بد للحياة: أردية ثلاثة صفراء للبسه، نطاق لشدها، إبرة لترقيعها موسى لحلق مه، غربال لشف مائه خشية أن يبلع نفساً وهو لا يعلم، وقصعة للتسول!

ماذا؟ قصعة التسول! الامبراطور العظيم يحمل فى يده قصعة ليتسول شحذ، ويجمع من صدقات الرعية قوته اليومى! بالله عليك. هل سمعت. أو ت. أو تخيلت ملكا عظيما. يفعل شيئا مثل هـذا؟ كلا إنك لا تعلم ملكا كهذا، ولست أنت وحدك، بل التاريخ الانسانى كله لم يعرف ملكا

كامبراطورنا هذا الذى تفرض الانسانية علينا بأن ننعته بأعظم الملوك .

كانت هذه الأيام من أشد أيام حياته صعوبة وابتلاء ، فقد مثل فيها ـ متضادتين : حياة ملك عظيم صاحب امبراطورية نخمة ، وحياة فقير متسول ـ قوته اليومى من هنا ومن هناك . وكان زاهدا فى الدنيا ، راغبا عن مزخر بينما كان إمبراطورا عظيما ترتعد من خوفه فرائص الملوك . ولم يحل تقشفه د حكمه على البلاد ، فلم يزل ينظم أمورها ، ويجمع شملها ، ويعمرها عدلا وهنا

يعترف أشوكا بأنه لم يقم بواجبه فى السنين الأولى حتى القيام إلى العـ الحادى عشر من ولايته ، فأحس بغتة فى قلبه تغيرا عظيما ، ورغبة صادقة . و ملحا لانهاض الناس من ضعفهم ، وإصلاحهم الخلقى والاجتماعى ، وإعد لمهاجمة الشياطين ، فصار فى العام الحادى عشر من حكومتـــه شعلة ذكاء . و هائلة متحركة محركة ، وها هو يحدثنا بنفسه عن مشاعره فى مسلة .

« أبلغ أنا الرسالات الدينية ، وأنفذ الأوامر الفاضلة ، ليصل الناس إلى ا عندما يطلعون عليها ويعملون بها عملا ينفعهم ، فيعلون درجات فى الدنيا والد وهذا هو الغرض الذى هدفت إليه بهذه الاعلانات والرسالات ، وسيفسرها لو لهم ، وقد أمرت عمالى بأن يهدوا الذين عضوا على الدين بالنواجذ . وهذه الغاية السامية التى بنيت لها مسلات دينية وعينت عمالا وكتبت ألواحا .

« ويقول حبيب الآلهة :

« غرست الأشجـار على الطرق ، ليستريح النـاس والحيوانات تحت ظلالهـ وحفرت الآبار على كل ميل ، وشيدت محلات الاستراحة ، واعتنيت بسقاة الم فى كل مكان يقل فيـه الماء . هذا كله لينتفع الناس والبهائم على السواء . ولأ ـ أنا ومن يخلفنى المسالك التى تهيىء للشعوب الهدوء والطمأنينة .

« ويقول حبيب الآلهة :

« يقوم عمالى بالواجبين : واجب الزاهدين فى الدنيا والراغبين عنها ، فهم يخدمون الناس بأى دين يدينون ، وإلى أى أسرة ينتمون ، وأمرتهم بأن يخدموا البراهمة والرهبان . وهؤلاء الرجال يتصدقون عنى وعن زوجاتى ، وأمرتهم بأن يكثروا فى العطاء عن أبناء زوجاتى ، ليزداد الناس عملا بالدين ويتعودوا الخصال الحسنة . ألا ، وإن نفسا لن تنجو من الفساد والدمار إلا بأن تعمل بالدين ، وتجهد فى نشر المرحمة والجود والصدق وطهارة القلب وغير ذلك من الفضائل .

« ويقول حبيب الآلهة :

« الرقى منوط بشيئين : قوانين الدين ، والفكر الصحيح السديد . ولا ريب أن الاول أقل تأثيرا من الثانى ، فان القانون لا يفيد شيئاً إلا إذا أراد الناس العمل به . ألا ! وقد كتبت هذا كله ، ليعرف أبنائى وأحفادى أن خير الطرق ، طريق الدين ، وهو جدير بأن يتبع ما دامت الشمس تضئ الفضاء ، وما دام القمر يمنح النور للعالمين » .

وقال فى لوحة أخرى :

« لا بد أن أعمل لنفع الشعب ، وإن نفع الشعب يتوقف على الجهد والاشتغال بالأعمال النافعة . والجهد والاشتغال لا ينوب عنهما شىء آخر مهما كان كبيرا ، ولا يبلغ ما لهما من التأثير مهما كان فخما — ولماذا أعانى المتاعب وأقاسى الشدائد ؟ ليس لى بغية إلا أن أودى واجباتى نحو الأحياء ، وأبرأ مما أدين لهم » .

ووضع الامبراطوار لبث دعاية الدين مشروعا هاما ، استعان فى تحقيقه بأخيه ماهندا (Mahinda) واخته سنگهامترا (Sanghamitra) فأخذ يرسل البعثات التبشيرية إلى أنحاء المعمورة المختلفة ، وكانت كل بعثة تتألف من خمسة أعضاء . وإلى

القراء بيان هذه البعثات والبلاد التي توجهت إليها:

(١) سيلان	تحت رآسة مهندر
(٢) الامبراطورية اليونانية	« ركسيت
(٣) نواحي هماليا	« مجهما
(٤) المقاطعات الغربية للهند	« دهرم ركسيت (وكان من اليونان)
(٥) مهاراشترا	« مهادهرم ركست
(٦) ميسور	« مهاديو
(٧) كنادا	« ركست
(٨) بيكو ومولمين	« سون واتر
(٩) كاشمير	« مجهانتك

وكذلك أرسل بعثة إلى مصر، وكان يحكمها اذ ذاك البطالمة. وكان أهل يدينون بدين اخترعه ذكاء بطليموس الأول. قال الاستاذ سلامه موسى:

« لم يكن في العالم مذهبان هما أمعن في التناقض من هذين الدينين، د الملك أشوكا أي البوذية التي تدعو إلى الاخاء والسلام وكراهة القتل، وإلى الز والتقشف ومقاطعة اللذات وإماتة الشهوات، ودين هؤلاء البطالمة الذي اخترعه ذ بطليموس الأول في الاسكندرية، بؤرة الدسائس واللذات والشهوات. وع قدر ما نقرأ عن حياة الطهر والشرف والانسانية عند الملك أشوكا، نقرأ عن ح الدنس والخسة والهتك في حياة البطالمة. ولا بد أن رجال الوفد الهندي صع عند ما رأوا الاسكندرية وقارنوا ما في بلاط بطليموس بما في بلاط أشوكا. و الوفد الهندي خائباً. ولا بد أن أشوكا قد انسحق قلبه عندما سمع عن الظلا الروحي الذي كان يخيم على الاسكندرية ..»

لا يحدثنا التاريخ عن سيرة هؤلاء الأبطال الذين قاموا بأعباء الرحلات الطويلة الشاقة، إلا ما ذكرت آنفاً من أسمائهم والبلاد التى وفدوها، ولكننا نستطيع أن نقدر عظمتهم وحماسهم الدينى حق التقدير.

كانت البوذية قبل عهد أشوكا، مذهبا من المذاهب الهندية الدينية وكان محصورا فى وادى مهالكنج، ولكن أشوكا وسع نطاقها وجعلها من الأديان العالمية وسرعان ما لبى أهل سيلان دعوة أشوكا فاعتنقوا الدين الجديد، وقد يكون الدافع لهم إلى هذا الاعتناق السريع ما كان بين حاكمها وبين أشوكا من روابط الصداقة.

وروى أن أهل الجزيرة أرسلوا كذلك بعثة إلى أشوكا لتتعلم البوذية. وأن الامبراطور أرسل مع إحدى بعثاته إلى سيلان غصنا من «شجرة المعرفة» التى نال تحت ظلالها بوذا المعرفة والبصيرة. فغرس الغصن وأصبح دوحة عظيمة لا تزال باقية بها إلى الآن، وهى أقدم شجرة فى المعمورة على ما نعلم.

ولم يكتف أشوكا باقامة المسلات، بل ندب رجالا يتجولون فى البلاد ويرغبون الناس فى النسك والورع، ويعلمونهم مكارم الأخلاق. ولأن يكونوا بأنفسهم قدوة لما يدعونهم إليه. ليسهل للناس الاقتداء بحياتهم اليومية. فيجاروهم فى سيرتهم الرشيدة وصبرهم على الشدائد. وعهد إليهم كذلك النظر فى الأعمال الخيرية وإدارة شؤنها لتزداد نفعا، وخولهم بعض السلطة فكان لهم إطلاق سراح المسجونين إذا اقتنعوا ببراءتهم، وكانوا يحققون فيما إذا كان الناس يلتزمون سبل السلام، ويحترمون القانون، ويراعون حق الفقراء والأكابر.

ويسجل لنا الملك هذا على إحدى مسلاته:

«عينت الوزراء لينوبوا عنى، وسمحت لهم أن يحكموا على آلاف من الناس،

ويشجعوهم على الخير، واعدين إياهم جوائز كبيرة. وينهوهم عن الجرائم، منذر... العقوبات المالية والبدنية. ويجب عليهم أن يقوموا بتحقيق ما وعدوه إذا ر... من أحد حسنة أو سيئة. وقد وسعت لهم مجال السلطة ليتمكنوا من أداء واجب... من إنهاض الناس وإنعاشهم بالسلام من دون خشية.

«وليفكر الوزراء فى وسائل السعادة والراحة للشعب، ويرشدوه إلى الخير... وفقا لقانون الفضيلة، ويساعدوه فى نيل السعادة فى كلا العالمين.

«وهولاء نوابى من أى وظيفة كانوا ينفذون ما أمرتهم بتنفيذه. ويدعون الناس إلى الطريق المستقيم فيقومون بواجباتهم الانسانية. ومثل نوابى كمثل المرضعة المر... التى إذا سلم إليها الولد، يطمئن أبوه على نشأته وتربيته. وإنى كذلك أسلم إليهم شعوبى، وأنتظر منهم تربيتها بأحسن ما يستطيعون، وعليهم أن يقيموا العدل أينما كانوا، وينفذوا الأوامر من غير محاباة. وإنى أمرتهم بأن يمهل المجرمون الذين حكم عليهم بالاعدام ثلثة أيام، ليتمكن فيها أقاربهم من السعى لدى نوابى لالغا... أو تخفيف عقوباتهم، أو قد يريد المجرمون أنفسهم أن يتصدقوا بأكثر ما فى وسعهم خشية من العذاب فى العقبى. إذ أمنيتى أن لا يضيع عمر أحد سدى، حتى ولو بقيت للمسجونين ساعة من عمرهم. وأستحسن أن لايغفلوا من التصدق والصوم».

ولم يكن الامبراطور متكلا على ما يعمله عماله، بل كان يأمر أن يرفع إليه كل أمر مهم لينظر فيه بنفسه. وليس هذا فحسب، بل أمر أن ترفع إليه فى حينها ولا يراعى فيه حتى أوقات راحته، فقال:

«جرت العادة من القديم إن لا ترفع الأمور إلى الملوك، فلا يطلعون ع... حاجات شعبهم مهما كبرت وعظمت. نعم، كانت ترفع إليهم بعض الأمور ولكن فى أوقات مخصوصة، فلا ينظرون فى الطلبات فى وقتها، غير أنى آمركم با...

هاتين العادتين القبيحتين، إذ يجب أن يعرفنى الناس بحاجاتهم وطلباتهم فى أى ساعة شاءوا. فاطلعونى عليها سواء كنت على مائدة طعامى، أو أتنزه فى البساتين أو أكون عند زوجاتى، إذ على أن أخدم الشعب راكبا، جالسا، متفرجا، آكلا، وغير ذلك من الأحوال.

«وإذا اختلف أعضاء المجلس فى فهم أمر من أوامرى فليراجعونى فيه توا، وإنى لا أبالى بتعبى، لأنى أوجبت على نفسى الجهد المستمر لاصلاح الشعب ورفاهيته. وهذا لا يتأتى إلا بالاجتهاد الشديد، و بذل المال والنفس، والاسراع إلى الخير.

«وإن أهم الواجبات على المرء خدمة الناس، وإنى لا أبذل جهدى فيها إلا لأن أؤدى واجبى نحوهم. وياليتنى أتمكن من إيجاد وسائل الخير والفلاح لهم أكثر مما أدين لهم من الخدمة.

«وقد نقشت أوامرى هذه لتظل باقية إلى مدة طويلة ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم».

كان الناس فى زمن أشوكا يقومون بطقوس موروثة خلت من الروح، رآها الامبراطور وعرف أنها لا تجدى نفعا، فاهتم بالأمر ونقش فى شأنه ما يأتى:.
«يقول حبيب الآلهة:

«تعود الناس بطقوس مختلفة يقومون بها عند النوازل، والزواج، والولادة، والسفر، ولكن هذه الطقوس غير مجدية، اللهم إلا ما يتعلق منها بالدين، فهى لا تخلو من ثمرات حسنة. وإنما هى الخصال الطيبة التى يجب أن يتصف بها الشعب من حسن المعاملة مع الخدم والعبيد والجوارى، وتعظيم الوالدين، وإكرام الأساتذة، وكظم الغيظ، والعطف على كل ما يدب على الأرض، هذه أمور

تستحق الثناء وهى نافعة، وهى كلها من الدين فينبغى المواظبة عليها حتى يفوز
كله بالسلام، وإذا لم يكتسب أحد منها منفعة فى هذا العالم فلا يحزن، لأنها
فى العالم الآخر.

«وأما الطقوس التى لا علاقة لها بالدين، فمن المحتمل أن تجود بالفائدة
ترجى منها، وإن جاءت بفائدة فهى لا تنفع إلا فى العالم الحاضر. بخلا
الطقوس الدينية، فان نفعها عام لهذه الحياة الفانية وللحياة الخالدة معا. وهى
كل حال تسبب للقائم بها الراحة فى عالم الخلود.

«وليست هدية ولا عون. أفضل من هداية الناس إلى الدين وتحليتهم بالع
والأخلاق الحسنة والحلم والسماح».

وفى العام الحادى عشر من حكمه وسعت رحمته كل ما دب على الأرض
فترك الصيد وأصدر أمرا يمنع به قتل الحيوان وجرحه وكيه. وفى السا
والعشرين من حكمه منع قتل كثير من الطيور، والحشرات، والأسماك. كالب
والبط، والأوز والخفاش، والسلحفاة والنمل، وكذلك منع ذبح الشاة وا
والخنازير. وكل حيوان ما لم يدرج فى الشهر السادس من عمره، ومنع إخ
الحيوانات وأمر بالتجنب عن إيذائها قدر ما يمكن، حتى أمر بأن لا يحرق الحشي
إذا ظن أن فيها حشرات، ولا تحرق الغابات بدون حاجة شديدة.

وهو يقول:

«الدين نعمة، ولكن ما هو الدين؟ تقليل الشر وتكثير الخير، المر
والاحسان، والصدق. لقد منحت الناس بصيرة القلب ومددت يد المرحمة
البشر، والبهائم، والطيور، وسائر الحيوانات البرية والبحرية فأعطيتها الحياة».

ولم يقف نشاط الملك عند إرسال البعثات، وتوظيف العمال، وإقامة المسلات

ل قام بنفسه بجولة تبشيرية فى أنحاء البلاد، وعرض على الناس حياته العملية تمية النقية. أ ليس من العجب العجاب أن يطوف أمبراطور عظيم فى مملكته، ، لمآربه الشخصية، بل لنشر الفضائل ومكارم الأخلاق!

ولا يخفى أن الناس فى عصره ما كانوا يفرقون كثيراً بين الملك والاله. كان شعب يرى أنه لم يخلق إلا ليعبد ملكه ويشبع رغباته. ولكن أمبراطورنا هذا ، يشأ أن يستفيد من جهل الشعب. فبذل كل ما فى وسعه لاصلاحه وتثقيفه.

اعتنق الامبراطور البوذية وبذل فى نشرها ما استطاع، لكنه لم يظلم الأديان لأخرى قط، وإنما كان يرمى إلى إيجاد الاتحاد والاتفاق بين الناس، ولم يكن دينه مؤسسا إلا على الأسس الخلقية لا تخالف دينا ولا فضيلة، ويتخلص دينه يما نجمله هنا:

١ تعظيم الوالدين والأساتذة وجميع المعمرين.
٢ حسن المعاملة مع البراهمة والأقرباء والخدم والأصدقاء.
٣ الجود للرهبان والبراهمة والأصدقاء والأقرباء والضعفاء.
٤ الاجتناب من إيذاء الحيوان وقتله.
٥ الاقتصاد فى سائر الأمور.
٦ وقد صرح بأن العصبية من أقبح الخصائل:

وهو يقول:

«إن حبيب الآلهة يحترم الناس كلهم من أى أسرة كانوا وبأى دين اعتنقوا، ولا يستعظم هدية وجاها أكثر من اتصافهم بالأخلاق الحسنة. ولقد وجدت عقائد لا تحصى، وهى ترمى إلى التسوية بين الناس، ولا يليق للمرء أن يمدح دينه وينال من دين الآخرين. وليعلم الناس أن من أكرم الأديان الأخرى،

فقد أكرم دينه، ومن أهانها، فقد أهان دينه. وإن من يمدح دينه، ويحقر دي
غيره ويزعم أنه يخدم دينه فانما يقوض دعائم دينه. والتباحث شيء حسن. ا
نعلم به ما فى الدين الآخر من المبادئ القيمة، ويقوى به الميل فى الناس إلى معر
سائر الأديان.

« يريد حبيب الآلهة أن يكون أفراد كل شعب ودين عارفين وناشرين الخيرات
ألا، ليعلم الناس قاطبة أن الملك لا يحفل بالجاه ولا يكترث بالمال أكثر مم
تتوق نفسه إلى نشر المبادئ الحسنة بين الناس ».

إن هذا الأمبراطور الفذ العظيم، لم يكن دينا زاهدا فقط، بل إنما اعتنى
بترقية شعبه وتحسين بلاده، فغرس الأشجار الظليلة، وحفر الآبار فى أنحاء البلاد
وأسس المستشفيات للرضى من البشر والحيوان، واعتنى لهم بالأدوية.
فيقول فى لوحة.

« جمعت الأدوية والعقاقير، وأمرت بتوفيرها للرضى من الناس وغيرهم
وأرسلت الأدوية إلى القرى النائية التى يتعذر فيها حصولها ».

ولم يكتف بالمستشفيات فى أمبراطوريته بل أسسها كذلك فى البلاد الأخرى
فذهبت إليها بعثاته بالأدوية والعقاقير، وعرفت أهلها بخواصها ومنافعها. وشجعهم
على مكافحة الأمراض، وبنى مظلات متقاربة فى الطرق، يستظل بها الركبان
عند اشتداد الشمس، ويبيتون بها فى الليل. وكانت معها آبار أو ذخائر المياه
للناس والبهائم.

وبنى أبنية شامخة وقصورا شاهقة. وإن ما نجد من الأبنية التى شيدت في
عصره على ثلثة أقسام: « أستوپا » وهى المقابر المدورة التى تحتوى على رما
بوذا أو تلاميذه الكبار. و « چيتيا » وهى معابد داخلها استوپا صغيرة. والتكا

التى كان الرهبان يسكنون فيها. وكانت مراكز للعلم والعرفان يقصدها الطلاب، وفى كل غرفة منها صورة لبوذا ليستعين بها المرء فى المراقبة.

وأما فن الرسم، والنحت، والهندسة فى عصره وإزدهاره إذ ذاك فلا نظير له. نقشت الأوامر على الصخور الصلبة بطريقة لم يستطع الدهر إمحائها على رغم القرون الكثيرة التى مرت عليها. ثم المسلات، وبعضها يبلغ خمسين قدما، نحتت من صخرة واحدة، وصقلت، وطليت بطلاء لا يزال بهائها باقيا إلى الآن. وهذه المسلات تدل على أن الفن كان فى أقصى مراتب الكمال. ثم هنالك الكهوف التى حفرت للرهبان تنطق بكمال صناعها. وحفرت فيها غرف واسعة، جدرانها مطلاة بطلاء يتلألأ إلى الآن.

وأشوكا هو أول من بنى بالحجر، فان الهند لم يكن فيها أبنية من الحجر قبله. وكانت الدور والمعابد تتخذ من الخشب حتى كان قصر جد أشوكا، الامبراطور «چندر موريا گپتا» أيضاً من الخشب. فجاء أشوكا وعرف الناس بأن الحجر أولى بالبناء من الخشب. عرف الناس فى عصره هذا الفن، ولم يلبثوا أن بلغوا أوج الكمال فيه، وشيدوا من البنيان ما لم يوجد له نظير.